﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ

.. لا نستطيعُ أن نرى وجهنا إلاّ بمرآة ، ولا نستطيعُ أنّ نرى خلفنا إلاّ بمرآتين ، إحداهما أمامَنا والأُخرى خلفَنا ... وبالتالي فالتاريخُ برواياتِه ورجالاتِه كمرآةٍ لما رآه بعضُ السابقين ، لا تُعرَفُ حقيقتُهُ إلاّ بالعقلِ المُجرّدِ في إدراكه لدلالات كتاب الله تعالى وثوابت العلم والمنطق ، وذلكَ كمرآةٍ للحاضر نرى من خلالِها ما تحملُه مرآةُ الماضي ..

.. حينما تتقابلُ المتناقضات ، فإنَّ العقلَ المُجرّد والإدراكَ السليم لكتاب الله تعالى ، والإرادةَ النقيّةَ في تحرّي الحقّ والانتصارِ له .. كُلُّ ذلك .. يدفع باتّجاهِ معرفةِ الحقيقة .. فقد يرفضُ العقلُ كلَّ المتناقضات حينما لا يجد فيها ما هو صحيح .. وقد يأخذ ببعضِها ويرفضُ بعضَها .. أمّا أن يُقرّها كُلَّها فهذا يعني أنّه هوىً وليس عقلاً ..

.. لا يمكن لأيِّ إنسانٍ عاقل أن يتصوَّر تحرّي الحقّ بشكلٍ تام ، إلاّ من قِبَل الله تعالى ، فالبشر ليسوا معصومين عن الخطأ أبداً ، والحقيقةُ ليست محتكرةً لشخصٍ أو مذهبٍ أو طائفة .. ألم يقل الله تعالى :

﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [البقرة : ١١٣]

.. أليس الذي يعتقدُ أنَّ رجلاً ما من رجالات التاريخ ، قد استطاع تحرّي الحقيقةَ كاملةً دون الآخرين وأنَّ الآخرين لا حقيقةَ عندهم .. أليس هذا الاعتقاد هو ذاتُه ما يحملُه قولُ الله تعالى : ﴿ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ ﴾ ؟ .. أليس القولُ بأن بعضَ السابقين استطاعوا تحرّي الحقّ المطلقّ من بين ضبابِ الدس على الرسول ﷺ ، وبأن ما صححوه فوق العقل والحوار ، وأنّ فلاناً معصومٌ لأنّه من أهل البيت ، وأنّ فلاناً عَدلٌ لأنّه رأى النبيَّ ﷺ .. أليست هذه الأقوالُ عصبيّاتٍ لا علاقة لها بمنهج الله تعالى ، وتناقضُ كَوْنَ منهجِ الله تعالى مُحتوىً في القرآن الكريم ، وأنَّ هذا المنهجَ قد اكتمل قبلَ موتِ النبيِّ ﷺ ؟ ..

﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا ۚ ﴾ [المائدة : ٣]

.. إنَّ القولَ بأنَّ كلّ ما في الصحيحين صحيح ، لا يختلفُ كثيراً عن القول بأنّ كلّ ما في الصحيحين ليس صحيحاً .. فكلا المقولتين عصبيّةٌ ناتجةٌ عن جهلٍ بمنهجِ اللهِ تعالى من أساسِه .. ومن لا يُدركُ أنّ إدخالَ الأكاذيب الملفّقة على الرسول ﷺ إلى ساحة المقدَّس هو معاولُ في هدمِ السنّة الحقّ (عند السنّة والشيعة على حدٍّ سواء) ، من لا يُدركُ ذلك ، فهو جاحد بكتاب الله تعالى ، وغارقٌ في مستنقعات التيه ، وممّن يعنيهم قولُ اللهِ تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَـٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ

ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴾ [الكهف : ١٠٣ – ١٠٥]

.. ألم يذكر اللهُ تعالى في كتابه الكريم أنَّ الموتى لا يسمعون :

﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴾ [النمل : ٨٠]

﴿ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴾ [الروم : ٥٢]

.. ألم يُبيّنُ الله تعالى لنا أنّ كلمةَ الموتى تعني كُلَّ من فارقَ الحياةَ الدنيا مؤمناً كان أو كافراً ، إنساناً كان أو حيواناً .. وانَّ كلمةَ الأموات وليس الموتى هي ما تعني الموتَ الإيماني ، سواءٌ كان ذلك لمن هو على قيد الحياة أو لمن فارق الحياة ، وأنَّ المؤمنَ الحقَّ لا يُعَدُّ من الأموات وإن كان قد فارق الحياة منذ قرون .. وبالتالي فقولُهُ تعالى : ﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ وقولُه تعالى : ﴿ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ يعني أنَّ من فارق الحياةَ الدنيا لا يُمكننا أن نُسمِعَه .. وقولُه تعالى : ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴾ [فاطر : ٢٢] ، يُؤكّدُ هذه الحقيقة ..

.. أليست العباراتُ القرآنيّةُ التاليةُ دليلاً على عدم سماع الموتى :

﴿ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ ﴾ [البقرة : ٢٥٩] ..... فلو كان الرجلُ المعنيُّ في هذا النصِّ – أثناءَ موته – سامعاً لمن في الدنيا لما قال : ﴿ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ ﴾ ..

.. ألا نرى في قَوْلِ عيسى عليه السلام يومَ القيامة ، في حديثه مع الله تعالى : ﴿ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [المائدة : ١١٧] ، ألا نرى أنَّ عيسى عليه السلام لم يكن يعلم شيئاً عمّا في الدنيا حين وفاتِه ، وبالتالي لم يكن يسمع من في الدنيا أثناء وفاته ؟ ..

.. والآياتُ الكريمة التي تُبيّن أنَّ الموتى لا يسمعون كثيرة ..... بعد هذا البيان القرآني الواضح ، نرى أحاديث تحملُ نقيضَ ذلك ..

البخاري (٣٦٧٩) :

حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ سَمِعَ رَوْحَ بْنَ عُبَادَةَ حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي عَرُوبَةَ عَنْ قَتَادَةَ قَالَ ذَكَرَ لَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ عَنْ أَبِي طَلْحَةَ **أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أَمَرَ يَوْمَ بَدْرٍ بِأَرْبَعَةٍ وَعِشْرِينَ رَجُلًا مِنْ صَنَادِيدِ قُرَيْشٍ فَقُذِفُوا فِي طَوِيٍّ مِنْ أَطْوَاءِ بَدْرٍ خَبِيثٍ مُخْبِثٍ وَكَانَ إِذَا ظَهَرَ عَلَى قَوْمٍ أَقَامَ بِالْعَرْصَةِ ثَلَاثَ لَيَالٍ فَلَمَّا كَانَ بِبَدْرٍ الْيَوْمَ الثَّالِثَ أَمَرَ بِرَاحِلَتِهِ فَشُدَّ عَلَيْهَا رَحْلُهَا ثُمَّ مَشَى وَاتَّبَعَهُ أَصْحَابُهُ وَقَالُوا مَا نُرَى يَنْطَلِقُ إِلَّا لِبَعْضِ حَاجَتِهِ حَتَّى قَامَ عَلَى شَفَةِ الرَّكِيِّ **فَجَعَلَ يُنَادِيهِمْ بِأَسْمَائِهِمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِهِمْ يَا فُلَانُ بْنَ فُلَانٍ وَيَا فُلَانُ بْنَ فُلَانٍ أَيَسُرُّكُمْ أَنَّكُمْ أَطَعْتُمْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّا قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالَ فَقَالَ عُمَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا تُكَلِّمُ مِنْ أَجْسَادٍ لَا أَرْوَاحَ لَهَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ قَالَ قَتَادَةُ أَحْيَاهُمْ اللَّهُ حَتَّى أَسْمَعَهُمْ قَوْلَهُ تَوْبِيخًا وَتَصْغِيرًا وَنَقِيمَةً وَحَسْرَةً وَنَدَماً**

البخاري (٣٦٨٢) :

حَدَّثَنِي عُثْمَانُ حَدَّثَنَا عَبْدَةُ عَنْ هِشَامٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ **وَقَفَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى قَلِيبِ بَدْرٍ فَقَالَ هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ثُمَّ قَالَ إِنَّهُمْ الْآنَ يَسْمَعُونَ مَا أَقُولُ فَذُكِرَ لِعَائِشَةَ فَقَالَتْ إِنَّمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّهُمْ الْآنَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّ الَّذِي كُنْتُ أَقُولُ لَهُمْ هُوَ الْحَقُّ ثُمَّ قَرَأَتْ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى حَتَّى قَرَأَتْ الْآيَةَ**

البخاري (٣٦٨١) :

حَدَّثَنِي عُبَيْدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ عَنْ هِشَامٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ ذُكِرَ عِنْدَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ ابْنَ عُمَرَ رَفَعَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ الْمَيِّتَ يُعَذَّبُ فِي قَبْرِهِ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ فَقَالَتْ وَهَلَ إِنَّمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّهُ لَيُعَذَّبُ بِخَطِيئَتِهِ وَذَنْبِهِ وَإِنَّ أَهْلَهُ لَيَبْكُونَ عَلَيْهِ الْآنَ قَالَتْ وَذَاكَ مِثْلُ قَوْلِهِ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَامَ عَلَى الْقَلِيبِ وَفِيهِ قَتْلَى بَدْرٍ مِنْ الْمُشْرِكِينَ فَقَالَ لَهُمْ مَا قَالَ إِنَّهُمْ لَيَسْمَعُونَ مَا أَقُولُ إِنَّمَا قَالَ إِنَّهُمْ الْآنَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّ مَا كُنْتُ أَقُولُ لَهُمْ حَقٌّ ثُمَّ قَرَأَتْ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ يَقُولُ حِينَ تَبَوَّءُوا مَقَاعِدَهُمْ مِنْ النَّارِ

.. ولننظر في النصين التاليين المقتطعين من كتاب فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، فيما يخصُّ شرح هذا الحديث :

[[والجواب عن الآية أنه لا يسمعهم وهم موتى ولكن الله أحياهم حتى سمعوا كما قال قتادة ، ولم ينفرد عمر ولا ابنه بحكاية ذلك بل وافقهما أبو طلحة كما تقدم ، وللطبراني من حديث ابن مسعود مثله بإسناد صحيح . ومن حديث عبد الله بن سيدان نحوه وفيه : " قالوا يا رسول الله وهل يسمعون ؟ قال : يسمعون كما تسمعون ، ولكن لا يجيبون " وفي حديث ابن مسعود " ولكنهم اليوم لا يجيبون "]]

[[وقد اختلف أهل التأويل في المراد بالموتى في قوله تعالى : (إنك لا تسمع الموتى) وكذلك المراد بمن في القبور ، فحملته عائشة على الحقيقة وجعلته أصلاً احتاجت معه إلى تأويل قوله : " ما أنتم بأسمع لما أقول منهم " وهذا قول الأكثر ، وقيل : هو مجاز والمراد بالموتى وبمن في القبور الكفار ، شبهوا بالموتى وهم أحياء ، والمعنى من هم في حال الموتى أو في حال من سكن القبر ، وعلى هذا لا يبقى في الآية دليل على ما نفته عائشة رضي الله عنها ، والله أعلم]]

.. إنَّ مقولةَ : **[[أحياهم حتى سمعوا]]** ، هي تأويلٌ لا يقلُّ مخالفةً لكتاب الله تعالى عن مخالفة إسماع الموتى .. فالقرآن الكريم يُبيّنُ لنا أنَّ الكفّارَ المعنيين في الرواية وأمثالَهم ممّن يستحقّون دخولَ النار ، يقولون في الآخرة وهم في النار :

﴿ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴾ [غافر : ١١]

.. أليس إحياؤهم ليسمعوا كلامَ النبيّ ﷺ ومن ثمّ موتهم ، أليس ذلك خرقاً للناموس المذكور في كتابِ اللهِ تعالى ، والذي لا يَذْكُرُ لنا اللهُ تعالى عنه أيَّ خرق ؟ .. فلو أنَّ هؤلاء عادت لهم الحياةُ ليسمعوا ثمّ ماتوا ، لكانوا قد أُحيوا ثلاثاً وليس اثنتين .. وهذا يُخالفُ قولَ الله تعالى : **﴿ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ ﴾** ..

.. وأين هي الخصوصيّة في إسماع النبيِّ ﷺ للموتى ، وذلك مع قولِهِ تعالى : **﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾** ؟ .. أليست كلمةُ **﴿ إِنَّكَ ﴾** تشملُ النبيَّ ﷺ ؟ .. أليست هذه الكلمة تنفي أيَّ خصوصيّة للنبيِّ ﷺ في إسماع الموتى ؟ .. وكيف نفهم العبارة الواردة في تفسير هذه الرواية : **[[وقيل : هو مجاز والمراد بالموتى وبمن في القبور الكفّار ، شبهوا بالموتى وهم أحياء ، والمعنى من هم في حال الموتى أو في حال من سكن القبر ، وعلى هذا لا يبقى في الآية دليل على ما نفته عائشة رضي الله عنها ، والله أعلم]]** .. ألا يحملُ هذا التأويلُ مخالفةً لكتاب الله تعالى لا تقلُّ عن مخالفة إسماع الموتى ؟!!! .. كيف تكون كلمة الموتى تعني الكفّار ، وهي في كتاب الله تعالى تعني كلَّ من فارقَ الحياةَ الدنيا مؤمناً كان أو كافراً ، إنساناً كان أو حيواناً ..

.. فالحيوان حينما ينفق يُسمّى بالموتى مع أنّه لا علاقة له بمسائلِ الكفر والإيمان ، يقول تعالى : **﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ**

﴿ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢٦٠] .. أليستْ كلمةُ (الأموات) هي التي تعني ما تذهبُ إليه تلك التأويلات ؟!!! .. الله تعالى يقول : ﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ ، ولا يقول : (إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الأموات) .. فكيف إذاً تُحَمَّلُ كلمةُ ﴿ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ دلالاتِ كلمةِ (الأموات) ؟!!! .. أليس هذا تحريفاً للكلمِ عن مواضعه ؟!!! ..

.. ولو طلّقنا عقولنا وأعرضنا عن دلالات كلمة ﴿ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ في كتاب الله تعالى وقبلنا تأويلهم بأنَّ كلمة ﴿ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ في الآيتين الكريمتين : ﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴾ [النمل : ٨٠] ، ﴿ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴾ [الروم : ٥٢] .. بأنّها تعني الكفّار من الأحياء الذين لا يسمعون نداءَ الحق .. لو طلّقنا عقولنا وقبلنا بهذا التأويل .. فماذا تعني إذاً العبارة القرآنيّة في هاتين الآيتين : ﴿ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴾ ، والتي تُعطَفُ مباشرةً على العبارتين : ﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ ، ﴿ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ .. !!!!!!؟

.. أليست العبارة ﴿ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴾ هي التي تعني الكفّار من الأحياء الذين لا يسمعون نداءَ الحق ..... وإن كانت العبارتان : ﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ ، ﴿ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ تعنيان الكفّار من الأحياء الذين لا يسمعون نداءَ الحق كما يزعمون ، فما الفائدة إذاً من عطف هذه العبارة القرآنيّة عليهما ؟!!!!!! .. نترك الإجابة لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ..

.. كيف بنا أن نُطلِّقَ عقولَنا وأن نقفزَ فوق دلالات كتابِ الله تعالى الواضحة وضوحَ الشمس وسط النهار ، لمجاراة رواياتٍ هي ذاتها متناقضة في متنها ؟ .. أليست

العبارات المنسوبة للنبيِّ ﷺ : **[[وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ]]** ، أليست تُناقضُ العبارة الواردة أيضاً في ذات الأحاديث : **[[مَا قَالَ إِنَّهُمْ لَيَسْمَعُونَ مَا أَقُولُ إِنَّمَا قَالَ إِنَّهُمْ الْآنَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّ مَا كُنْتُ أَقُولُ لَهُمْ حَقٌّ]]** ؟!!! .. أليس الفارقُ كبيراً بين دلالات العبارة المنسوبة للرسول ﷺ : **[[إِنَّهُمْ الْآنَ يَسْمَعُونَ مَا أَقُولُ]]** ، وبين دلالات العبارة المنسوبة – أيضاً – للرسول ﷺ : **[[إِنَّهُمْ الْآنَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّ الَّذِي كُنْتُ أَقُولُ لَهُمْ هُوَ الْحَقُّ]]** ؟!!! .. كم هي درجةُ تطليق العقل التي نحتاجُها لنقنعَ أنفسَنا أنَّه لا تعارض بين هذه الروايات ، وأنَّه لا تعارضَ بينها وبين دلالاتِ كتاب الله تعالى ؟!!! ..

.. وإن لم يكن هذا تناقضاً فما هو التناقضُ إذاً ؟!!! .. وكيف لهذه الروايات المتناقضة أنْ تُرفَعَ إلى درجةِ المقدَّس ؟!!! .. وكيف يتمُّ الدفاعُ عن مثل هذه التناقضات اعتقاداً بأنَّ ذلك هو دفاعٌ عن السنّة الشريفة ؟!!! ..

.. وفي الرواية الأخيرة نرى – أيضاً – مسألةً أُخرى هي مسألةُ عذاب الميّت ببكاء أهله عليه .. وفي هذه المسألة تُبيّنُ عائشة أنَّ قولَ ابن عمر الذي يرفعه للنبيِّ ﷺ ليس صحيحاً ، فالعبارة في هذا الحديث : **[[ذُكِرَ عِنْدَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ ابْنَ عُمَرَ رَفَعَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ الْمَيِّتَ يُعَذَّبُ فِي قَبْرِهِ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ فَقَالَتْ وَهَلَ إِنَّمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّهُ لَيُعَذَّبُ بِخَطِيئَتِهِ وَذَنْبِهِ وَإِنَّ أَهْلَهُ لَيَبْكُونَ عَلَيْهِ الْآنَ]]** .. هذه العبارة واضحة وجليّة بأنَّ ابن عمر قد توهّم ونسي في رفعِه للنبيِّ ﷺ أنَّ الميّتَ يُعذّبُ ببكاءِ أهله عليه .. وقولُها هذا يتوافقُ مع القرآن الكريم : **﴿ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾** [النجم : ٣٨] .. ومع ذلك نرى رواياتٍ متناقضةً في هذه المسألة .. لننظر في الرواية التالية :

البخاري (١٢١٠) :

حَدَّثَنَا عَبْدَانُ قَالَ أَخْبَرَنِي أَبِي عَنْ شُعْبَةَ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ عَنْ ابْنِ عُمَرَ عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا **عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ الْمَيِّتُ يُعَذَّبُ فِي قَبْرِهِ بِمَا**

نِيحَ عَلَيْهِ تَابَعَهُ عَبْدُ الْأَعْلَى حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ حَدَّثَنَا سَعِيدٌ حَدَّثَنَا قَتَادَةُ وَقَالَ آدَمُ عَنْ شُعْبَةَ الْمَيِّتُ يُعَذَّبُ بِبُكَاءِ الْحَيِّ عَلَيْهِ

مسلم (١٥٣٨) :

و حَدَّثَنَاه مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ عَنْ سَعِيدٍ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ عَنْ ابْنِ عُمَرَ عَنْ عُمَرَ **عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ الْمَيِّتُ يُعَذَّبُ فِي قَبْرِهِ بِمَا نِيحَ عَلَيْهِ**

.. ولننظر في الرواية التالية :

البخاري (١٢٠٨) :

حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ خَلِيلٍ حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ وَهْوَ الشَّيْبَانِيُّ عَنْ أَبِي بُرْدَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ لَمَّا أُصِيبَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جَعَلَ صُهَيْبٌ يَقُولُ وَا أَخَاهُ فَقَالَ عُمَرُ أَمَا عَلِمْتَ **أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّ الْمَيِّتَ لَيُعَذَّبُ بِبُكَاءِ الْحَيِّ**

.. ولننظر في النصّ التالي المقتطع من فتح الباري بشرح صحيح البخاري فيما يخصّ هذا الحديث :

[[فذكرت ذلك لموسى بن طلحه فقال : كانت عائشة تقول إنما كان أولئك اليهود " أخرجه مسلم . قال الزين بن المنير : أنكر عمر على صهيب بكاءه لرفع صوته بقوله وا أخاه ، ففهم منه أن إظهاره لذلك قبل موت عمر يشعر باستصحابه ذلك بعد وفاته أو زيادته عليه فابتدره بالإنكار لذلك والله أعلم]] ..

ما علاقة هذا التفسير بصريح صياغة الرواية المُفسَّرة ؟!!! .. لننظر في الرواية التالية :

البخاري (١٢٠٦) :

حَدَّثَنَا عَبْدَانُ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ أَخْبَرَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ قَالَ أَخْبَرَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ قَالَ تُوُفِّيَتْ ابْنَةٌ لِعُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِمَكَّةَ وَجِئْنَا لِنَشْهَدَهَا وَحَضَرَهَا ابْنُ عُمَرَ وَابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَإِنِّي لَجَالِسٌ بَيْنَهُمَا أَوْ قَالَ جَلَسْتُ إِلَى أَحَدِهِمَا ثُمَّ جَاءَ الْآخَرُ فَجَلَسَ إِلَى جَنْبِي فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لِعَمْرِو بْنِ عُثْمَانَ أَلَا تَنْهَى عَنْ

الْبُكَاءِ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّ الْمَيِّتَ لَيُعَذَّبُ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا **قَدْ كَانَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ بَعْضَ ذَلِكَ** ثُمَّ حَدَّثَ قَالَ صَدَرْتُ مَعَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ مَكَّةَ حَتَّى إِذَا كُنَّا بِالْبَيْدَاءِ إِذَا هُوَ بِرَكْبٍ تَحْتَ ظِلِّ سَمُرَةٍ فَقَالَ اذْهَبْ فَانْظُرْ مَنْ هَؤُلَاءِ الرَّكْبُ قَالَ فَنَظَرْتُ فَإِذَا صُهَيْبٌ فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ ادْعُهُ لِي فَرَجَعْتُ إِلَى صُهَيْبٍ فَقُلْتُ ارْتَحِلْ فَالْحَقْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَلَمَّا أُصِيبَ عُمَرُ دَخَلَ صُهَيْبٌ يَبْكِي يَقُولُ وَا أَخَاهُ وَا صَاحِبَاهُ **فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَا صُهَيْبُ أَتَبْكِي عَلَيَّ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ الْمَيِّتَ يُعَذَّبُ بِبَعْضِ بُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فَلَمَّا مَاتَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَقَالَتْ رَحِمَ اللَّهُ عُمَرَ وَاللَّهِ مَا حَدَّثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ اللَّهَ لَيُعَذِّبُ الْمُؤْمِنَ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ وَلَكِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّ اللَّهَ لَيَزِيدُ الْكَافِرَ عَذَابًا بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ وَقَالَتْ حَسْبُكُمْ الْقُرْآنُ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عِنْدَ ذَلِكَ وَاللَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى قَالَ ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ وَاللَّهِ مَا قَالَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا شَيْئًا**

.. ولننظر في النصّ التالي المُقتطَع من كتاب فتح الباري بشرح صحيح البخاري فيما يخصُّ تفسير هذا الحديث ، لنرى كيف أنَّ هذه التفاسيرَ تُوضَع بهدف عدم الاعتراف بعدم صحّة تلك الروايات ، ليس إلاّ ، وأنّها مبنيّةٌ على احتمالات وتأويلات تفترضُ مسبقاً صدقَ الرواية ، ومن ثمّ يتمّ البحث عن تبريرات لإثبات هذه الفرضيّة ، دون أيِّ اعتبارٍ لمخالفةِ تلك التبريرات لصياغة الرواية المُفَسَّرة ، ودون أيِّ اعتبارٍ لِلعقل والمنطق ..

[[قوله : (قال ابن عباس عند ذلك) أي عند انتهاء حديثه عن عائشة (والله هو أضحك وأبكى) أي أن العبرة لا يملكها ابن آدم ولا تسبب له فيها فكيف يعاقب عليها فضلا عن الميت . وقال الداودي : معناه أن الله تعالى أذن في الجميل من البكاء فلا يعذب على ما أذن فيه . وقال الطيبي : غرضه تقرير قول عائشة أي أن بكاء الإنسان وضحكه من الله يظهره فيه فلا أثر له في ذلك . قوله : (ما قال ابن عمر شيئاً) قال الطيب وغيره

: ظهرت لابن عمر الحجة فسكت مذعناً . وقال الزين بن المنير : سكوته لا يدل على الإذعان فلعله كره المجادلة في ذلك المقام . وقال القرطبي : ليس سكوته لشك طرأ له بعدما صرح برفع الحديث ، ولكن احتمل عنده أن يكون الحديث قابلاً للتأويل ، ولم يتعين له محمل يحمله عليه إذ ذاك أو كان المجلس لا يقبل المماراة ولم تتعين الحاجة إلى ذلك حينئذ . ويحتمل أن يكون ابن عمر فهم من استشهاد ابن عباس بالآية قبول روايته لأنها يمكن أن يتمسك بها في أن الله أن يعذب بلا ذنب فيكون بكاء الحي علامة لذلك ، أشار إلى ذلك الكرماني .]] ..

.. هذه الاحتمالات المتناقضة ما بين العبارة : **[[ظهرت لابن عمر الحجة فسكت مذعناً]]** ، وبين العبارة : **[[ليس سكوته لشك طرأ له بعدما صرح برفع الحديث]]** ، ما بين هاتين العبارتين احتمالاتٌ وتأويلاتٌ تمَّ إخراجُها من الجيوب ، لا تُلامسُ صياغةَ نصِّ الرواية بشيء ، فضلاً عن أنّها تأويلات لا تُقيمُ وزناً لحقيقةِ دلالاتِ كتابِ الله تعالى ، التي تُؤكِّدُ بصريحِ العبارةِ نقيضَ ما تحملُه هذه الروايات ..

.. وفي المسألةِ ذاتِها نرى روايةً تأخذ منحىً آخر لا يقلُّ وضعاً عن هذه الروايات :

مسلم (١٥٤٦) :

و حَدَّثَنَا خَلَفُ بْنُ هِشَامٍ وَأَبُو الرَّبِيعِ الزَّهْرَانِيُّ جَمِيعًا عَنْ حَمَّادٍ قَالَ خَلَفٌ حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ **ذُكِرَ عِنْدَ عَائِشَةَ قَوْلُ ابْنِ عُمَرَ الْمَيِّتُ يُعَذَّبُ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ فَقَالَتْ رَحِمَ اللَّهُ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ سَمِعَ شَيْئًا فَلَمْ يَحْفَظْهُ إِنَّمَا مَرَّتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَنَازَةُ يَهُودِيٍّ وَهُمْ يَبْكُونَ عَلَيْهِ فَقَالَ أَنْتُمْ تَبْكُونَ وَإِنَّهُ لَيُعَذَّبُ**

.. كم هو الفارق بين العبارات : **[[أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّ الْمَيِّتَ لَيُعَذَّبُ بِبُكَاءِ الْحَيِّ]]** ،، **[[عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ الْمَيِّتُ يُعَذَّبُ فِي قَبْرِهِ بِمَا نِيحَ عَلَيْهِ]]** ، التي رأيناها في الروايات السابقة ، وبين العبارة : **[[أَنْتُمْ تَبْكُونَ وَإِنَّهُ**

لَيُعَـذَّبُ]] ؟!!! .. أليست تأويلاتُهم قفزاً فوقَ قواعد اللغة العربيّة وحدود العقل والمنطق ؟!!! .. لننظر في الرواية التالية وشرحها ..

مسلم (١٥٣٦) :

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ جَمِيعاً عَنْ ابْنِ بِشْرٍ قَالَ أَبُو بَكْرٍ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بِشْرٍ الْعَبْدِيُّ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ حَدَّثَنَا نَافِعٌ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ حَفْصَةَ بَكَتْ عَلَى عُمَرَ فَقَالَ مَهْلًا يَا بُنَيَّةُ أَلَمْ تَعْلَمِي **أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّ الْمَيِّتَ يُعَذَّبُ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ**

.. ولننظر في النصِّ التالي المقتطع من كتاب صحيح مسلم بشرح النووي فيما يخـــصُّ هذا الحديث :

[[قوله صلى الله عليه وسلم : (إن الميت ليعـذب ببكـاء أهلـه عليـه) وفي روايـة (ببعض بكاء أهله عليه) وفي رواية (ببكاء الحي) وفي رواية (يعذب في قـبره بمـا نـيح عليه) وفي رواية (من يبك عليه يعذب) وهذه الروايات مـن روايـة عمـر بـن الخطـاب وابنه عبد الله رضي الله عنهما ، وأنكرت عائشة ونسبتها إلى النسيان والاشتباه عليهما ، وأنكرت أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم قال ذلك ، واحتجت بقوله تعـالى { ولا تـزر وازرة وزر أخرى } قالت : وإنما قال النبي صلى الله عليه وسلم في يهوديـة أنهـا تعـذب وهم يبكون عليها يعني تعذب بكفرها في حال بكـاء أهلـها لا بسـبب البكـاء . واختلـف العلماء في هذه الأحاديث فتأولها الجمهور على من وصى بأن يبكى عليه ويناح بعد موته فنفذت وصيته ، فهذا يعذب ببكاء أهله عليه ونوحهم ؛ لأنـه بسـببه ومنسـوب إليـه . قالوا فأما من بكى عليه أهله وناحوا من غير وصية منه فلا يعـذب لقـول الله تعـالى { ولا تزر وازرة وزر أخرى } .....]] ..

أليس القول بأنَّ عذاب الميّت ببكاء أهله عليه (المعني في هذه الروايات) هو لمـــن :

[[وصى بأن يبكى عليه ويناح بعد موته فنفذت وصيته ، فهذا يعذب ببكاء أهلـه عليـه

ونوحهم ؛ لأنه بسببه ومنسوب إليه .]] ، أليس هذا القول هو خروجٌ فاضحٌ على دلالات هذه الروايات التي لا تحمل تأويلهم لا من قريب ولا من بعيد ؟!!!!! .. لماذا لا نرى مجرَّد إشارة لتأويلاتهم هذه في صياغة هذه الروايات ؟!!! .. وهل تأويلاتهم هذه لها أيّة علاقة بالقول الذي يفترونه على الرسول ﷺ بأنّه قال **[[الْمَيِّتُ يُعَذَّبُ فِي قَبْرِهِ بِمَا نِيحَ عَلَيْهِ]]** ؟!!! ..

الأدهى والأمر أنّهم يتهموننا نحن بالقفز فوق قواعد اللغة العربيّة ، وذنبنا أنّنا نأبى أن نُطلّقَ عقولَنا ونُصدِّقَ تأويلاتهم التي يأتون بها من جيوبهم .. وهنا نسألُ السؤال التالي : من منّا الذي يقفزُ فوق قواعد اللغة العربيّة في فهمه لنصوصِ هذه الروايات ... نترك الإجابة لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ..

.. ولننظر في الرواية التالية لنرى كيف أنَّ رجلاً لم يقتنع بالقول : **[[الْمَيِّتُ يُعَذَّبُ بِنِيَاحَةِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ]]** ، كيف أنَّه يُتَّهم بمخالفة السنّة الشريفة .. فهذا الرجل – كما في صياغة هذه الرواية ودون أن نُضيف لها معاني من جيوبنا – لم يقل بأنّه لا يصدِّق النبيِّ ﷺ ، و لم يقل بأنَّه يُنكر السنَّة الشريفة ، إنّما يعبِّر عن عدم اقتناعه بما يُفترى في هذه المسألة على كتاب الله تعالى وعلى السنّة الشريفة ذاتها ..

النسائي (١٨٣١) :

أَخْبَرَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ يَعْقُوبَ قَالَ حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ سُلَيْمَانَ قَالَ أَنْبَأَنَا هُشَيْمٌ قَالَ أَنْبَأَنَا مَنْصُورٌ هُوَ ابْنُ زَاذَانَ عَنْ الْحَسَنِ **عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ قَالَ الْمَيِّتُ يُعَذَّبُ بِنِيَاحَةِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ أَرَأَيْتَ رَجُلاً مَاتَ بِخُرَاسَانَ وَنَاحَ أَهْلُهُ عَلَيْهِ هَاهُنَا أَكَانَ يُعَذَّبُ بِنِيَاحَةِ أَهْلِهِ قَالَ صَدَقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَذَبْتَ أَنْتَ**

أحمد (٢٣١٦٧) :

أَخْبَرَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ يَعْقُوبَ قَالَ حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ سُلَيْمَانَ قَالَ أَنْبَأَنَا هُشَيْمٌ قَالَ أَنْبَأَنَا مَنْصُورٌ هُوَ ابْنُ زَاذَانَ عَنْ الْحَسَنِ **عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ قَالَ الْمَيِّتُ يُعَذَّبُ بِنِيَاحَةِ أَهْلِهِ**

عَلَيْهِ فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ أَرَأَيْتَ رَجُلاً مَاتَ بِخُرَاسَانَ وَنَاحَ أَهْلُهُ عَلَيْهِ هَاهُنَا أَكَانَ يُعَذَّبُ بِنِيَاحَةِ أَهْلِهِ قَالَ صَدَقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَذَبْتَ أَنْتَ

.. ولننظر إلى التناقض الفاضح بين الروايات التالية ، وكيف أنّه لا يمكنُ لأيِّ عقـــلٍ سليمٍ أن يستطيعَ التوفيقَ بينها ، أو أن يُقرَّ بصحّتها جميعها ..

مسلم (٥٢٩) :

قَالَ ابْنُ شِهَابٍ أَخْبَرَنِي عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ قَارِظٍ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ **وَجَدَ أَبَا هُرَيْرَةَ يَتَوَضَّأُ عَلَى الْمَسْجِدِ فَقَالَ إِنَّمَا أَتَوَضَّأُ مِنْ أَثْـوَارِ أَقِـطٍ أَكَلْتُهَـا لِـأَنِّي سَـمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ تَوَضَّئُوا مِمَّا مَسَّتْ النَّارُ**

مسلم (٥٣١) :

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ بْنِ قَعْنَبٍ حَدَّثَنَا مَالِكٌ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ عَنْ عَطَـاءِ بْـنِ يَسَـارٍ **عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَكَلَ كَتِفَ شَاةٍ ثُمَّ صَلَّى وَلَمْ يَتَوَضَّأْ**

البخاري (٥٠٣٦) :

حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُنْذِرِ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ فُلَيْحٍ قَالَ حَـدَّثَنِي أَبِـي عَـنْ سَـعِيدِ بْـنِ الْحَارِثِ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا **أَنَّهُ سَأَلَهُ عَنْ الْوُضُوءِ مِمَّا مَسَّتْ النَّارُ فَقَـالَ لَا قَدْ كُنَّا زَمَانَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا نَجِدُ مِثْلَ ذَلِكَ مِنْ الطَّعَامِ إِلَّا قَلِيلًا فَـإِذَا نَحْـنُ وَجَدْنَاهُ لَمْ يَكُنْ لَنَا مَنَادِيلُ إِلَّا أَكُفَّنَا وَسَوَاعِدَنَا وَأَقْدَامَنَا ثُمَّ نُصَلِّي وَلَا نَتَوَضَّأُ**

مسلم (٥٣٠) :

قَالَ ابْنُ شِهَابٍ أَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ خَالِدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عُثْمَانَ وَأَنَا أُحَدِّثُـهُ هَـذَا الْحَـدِيثَ أَنَّهُ سَأَلَ عُرْوَةَ بْنَ الزُّبَيْرِ عَنْ الْوُضُوءِ مِمَّا مَسَّتْ النَّارُ فَقَالَ عُـرْوَةُ **سَـمِعْتُ عَائِشَـةَ زَوْجَ النَّبِـيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَوَضَّئُوا مِمَّا مَسَّتْ النَّارُ**

الترمذي (٧٤) :

حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عُمَرَ قَالَ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو عَنْ أَبِي سَلَمَةَ **عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْوُضُوءُ مِمَّا مَسَّتْ النَّارُ وَلَوْ مِنْ ثَوْرٍ أَقِطٍ قَالَ فَقَالَ لَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنَتَوَضَّأُ مِنْ الدُّهْنِ أَنَتَوَضَّأُ مِنْ الْحَمِيمِ** قَالَ فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ يَا ابْنَ أَخِي إِذَا سَمِعْتَ حَدِيثًا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَا تَضْرِبْ لَهُ مَثَلًا قَالَ وَفِي الْبَاب عَنْ أُمِّ حَبِيبَةَ وأُمِّ سَلَمَةَ وَزَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ وَأَبِي طَلْحَةَ وَأَبِي أَيُّوبَ وَأَبِي مُوسَى قَالَ أَبُو عِيسَى **وَقَدْ رَأَى بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ الْوُضُوءَ مِمَّا غَيَّرَتْ النَّارُ وَأَكْثَرُ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ بَعْدَهُمْ عَلَى تَرْكِ الْوُضُوءِ مِمَّا غَيَّرَتْ النَّارُ**

النسائي (١٧١) :

أَخْبَرَنَا إِسْحَقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ قَالَ أَنْبَأَنَا إِسْمَعِيلُ وَعَبْدُ الرَّزَّاقِ قَالَا حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ عَنْ الزُّهْرِيِّ عَنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَارِظٍ **عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ تَوَضَّئُوا مِمَّا مَسَّتْ النَّارُ**

أحمد (٢٣٣٢) :

حَدَّثَنَا حُسَيْنٌ حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي الزِّنَادِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَطَاءِ بْنِ عَلْقَمَةَ الْقُرَشِيِّ قَالَ دَخَلْنَا بَيْتَ مَيْمُونَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوَجَدْنَا فِيهِ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ **فَذَكَرْنَا الْوُضُوءَ مِمَّا مَسَّتْ النَّارُ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْكُلُ مِمَّا مَسَّتْهُ النَّارُ ثُمَّ يُصَلِّي وَلَا يَتَوَضَّأُ فَقَالَ لَهُ بَعْضُنَا أَنْتَ رَأَيْتَهُ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ قَالَ فَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى عَيْنَيْهِ فَقَالَ بَصُرَ عَيْنَيَّ**

أحمد (٧٢٨٧) :

حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَارِظٍ **قَالَ مَرَرْتُ بِأَبِي هُرَيْرَةَ وَهُوَ يَتَوَضَّأُ فَقَالَ أَتَدْرِي مِمَّا أَتَوَضَّأُ مِنْ أَثْوَارِ أَقِطٍ أَكَلْتُهَا إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ تَوَضَّئُوا مِمَّا مَسَّتْ النَّارُ**

أحمد (٢٥٢١٤) :

حَدَّثَنَا حَسَنُ بْنُ مُوسَى حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ عَنْ أَبِيهِ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ الْحَسَنِ **عَنْ فَاطِمَةَ قَالَتْ دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَكَلَ عَرْقاً فَجَاءَ بِلَالٌ بِالْأَذَانِ فَقَامَ لِيُصَلِّيَ فَأَخَذْتُ بِثَوْبِهِ فَقُلْتُ يَا أَبَهْ أَلَا تَتَوَضَّأُ فَقَالَ مِمَّ أَتَوَضَّأُ يَا بُنَيَّةُ فَقُلْتُ مِمَّا مَسَّتْ النَّارُ فَقَالَ لِي أَوَلَيْسَ أَطْيَبُ طَعَامِكُمْ مَا مَسَّتْهُ النَّارُ**

.. إن لم يكن هذا تناقضاً ، فما هو التناقضُ إذاً .. كيف يُمكنُ لمثلِ هذه الروايات المتناقضة أن تُبنى عليها أحكامٌ تشريعيّةٌ تأخذُ صلاحيّةَ تخصيص مُطلق كتاب الله تعالى ، أو تأخذ صلاحيّةَ إطلاق المخصّص في كتاب الله تعالى ، أو تأخذ صلاحيةَ نسخِ أحكامِ كتابِ الله تعالى ، كما يزعمُ عابدو أصنامِ التاريخ ؟!!! .. ألا نحسُّ من هذه الروايات أنَّ كلاماً كان يُلفَّقُ على لسان النبيّ ﷺ فقط من أجل عصبيّةِ إثبات الذات .. وفي العبارات الواردة في هذه الأحاديث : **[[فَقَالَ لَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنَتَوَضَّأُ مِنْ الدُّهْنِ أَنَتَوَضَّأُ مِنْ الْحَمِيمِ قَالَ فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ يَا ابْنَ أَخِي إِذَا سَمِعْتَ حَدِيثًا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَا تَضْرِبْ لَهُ مَثَلاً]]** ، في هذه العبارات ، ألا نحسّ أنّ ابن عباس إنّما قال ذلك تكذيباً لأبي هريرة ..

.. وكيف يُمكنُ لعاقلٍ أن يتصوَّر مصداقيةَ الروايتين التاليتين في الوقتِ ذاتِه :

أحمد (٢٥٤٨٥) :

حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ قَالَ سَمِعْتُ سُفْيَانَ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا عَوْنٍ يَقُولُ سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ شَدَّادٍ يَقُولُ سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ الْوُضُوءُ مِمَّا مَسَّتْ النَّارُ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ أَوْ ذَكَرَ ذَلِكَ لِمَرْوَانَ فَقَالَ مَا أَدْرِي مَنْ نَسْأَلُ كَيْفَ وَفِينَا أَزْوَاجُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **فَبَعَثَنِي إِلَى أُمِّ سَلَمَةَ فَحَدَّثْتُنِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ فَتَنَاوَلَ عَرْقاً فَانْتَهَسَ عَظْماً ثُمَّ صَلَّى وَلَمْ يَتَوَضَّأْ**

أحمد (٢٥٤٩٩) :

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْحَجَّاجِ قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ طَحْلَاءَ قَالَ قُلْتُ لِأَبِي سَلَمَةَ إِنَّ ظِئْرَكَ سُلَيْمًا لَا يَتَوَضَّأُ مِمَّا مَسَّتْ النَّارُ قَالَ فَضَرَبَ صَدْرَ سُلَيْمٍ وَقَالَ **أَشْهَدُ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهَا كَانَتْ تَشْهَدُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَتَوَضَّأُ مِمَّا مَسَّتْ النَّارُ**

.. أيّ عقلٍ سليم يستطيعُ من هاتين الروايتين أن يصل إلى نتيجةٍ في الوضوء ممّا مسّت النار ؟!!! ، أو أنْ يصل إلى نتيجةٍ في موقف أمِّ سلمة من هذه المسألة ؟!!! .. ففي الرواية الأولى نرى أنَّ أمّ سلمة تؤكّد أنّ النبيّ ﷺ تَنَاوَلَ عَرْقًا فَانْتَهَسَ عَظْمًا ثُمَّ صَلَّى وَلَمْ يَتَوَضَّأْ ، وفي الرواية الثانية نرى أنَّ أمَّ سلمة تَشْهَدُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَتَوَضَّأُ مِمَّا مَسَّتْ النَّارُ .. فهل أمّ سلمة في الرواية الأولى غير أمِّ سلمة في الرواية الثانية ؟!!! .. أم أنّ الرسولَ المعنيّ في الرواية الأولى يختلف عن الرسول المعني في الرواية الثانية ؟!!! .. أم أنَّ العقلَ الذي يُميّزُ الإنسان عن البهائم عدوٌّ لنا لا بُدَّ من تطليقه لكي لا نرى الحقيقة ؟!!! .. أترك الإجابة لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ .. أتركُ الإجابةَ لِمن يفهمُ قولَ الله تعالى :

﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولاً ﴾ [الإسراء : ٣٦]